زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من الصف الأول إلى الثاني عشر

التعليق
على قصيدة الألبيري

(تفت فؤادَك الأيام فتًّا)

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد الألبيري التُّجيبي (٤٦٠)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

درسنا[١] في التائية للألبيري رحمه الله تعالى وهو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد الألبيري التُّجيبي الغرناطي الأندلسي، أصله من تُجيب اليمن، وهاجر أجداده مع الفتوحات حتى استقروا في الأندلس في غِرناطة، فنسب إلى الأندلس ولادة.

ولد في عام (٣٧٥) للهجرة ومات في عام (٤٦٠)، وكان من العلماء ومن أهل السنة وهو من طلاب ابن أبي زمنين صاحب كتاب (أصول السنة) و(التاريخ).

وقد نظم هذه المنظومة كوصية ونصيحة لطلاب العلم وللشباب، وكونه يذكر في القصيدة اسم أبي بكر هذا من باب المثال، وليس معنى هذا أن ولده اسمه أبو بكر، افترض شخصًا بهذا الاسم وقام بنصحه كما هو معلوم في باب المقامات، وهذه التائية كان بعض العلماء يلزم الطلاب أن يحفظوها في بداية طلب العلم؛ لأن فيها آداب طلاب العلم، وكان كثير من العلماء يحثون على حفظها. وتناقلها العلماء بالإجازة والحفظ إلى عصرنا وهي (١١٥) بيتًا وفي بعض النسخ (١١٢). سنعلق عليها تعليقًا يسيرًا لأن الوقت لا يتسع.

****

---

(١) وهو دروس صوتية ألقيت عام ١٤٤٦ بـ: مركز السعادة عدن، وتم تفريغها ومراجعتها، فجزى الله خيرًا كل من أعان على ذلك، وقام الأخ عبد الوهاب النيجيري بضبط المنظومة جزاه الله تعالى خيرًا.

نص المنظومة

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

وصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد وَآله

قَالَ الْفَقِيه الزَّاهِد ابو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن مَسْعُود الألبيري رَحْمَة الله عَلَيْهِ:

١- تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

٢- وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

٣- أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ[1] ... أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتًّا

٤- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا

٥- فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

٦- أَبَا بَكْرٍ دَعَوتُكَ لَو أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

٧- إِلَى عِلمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيتَ وَإِنْ أَمَرتَا

٨- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا ... وَيَهدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا

٩- وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا عَرِيتَ

(١) في نسخة: (ذات خدر).

١٠ - يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ[(١)] لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

١١ - هُوَ الْعَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

١٢ - وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفُ الحَملِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

١٣ - يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

١٤ - فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِن حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَا

١٥ - وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا

١٦ - وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوضٍ ... وَلَا خِدْرٌ بِزِينَتِهِا فُتِنْتا[(٢)]

١٧ - فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ المُعَانِي ... وَلَيس بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا

١٨ - فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللهُ انْتَفَعْتَا

١٩ - وَإِنْ أُوْتِيْتَ فِيهِ طُولَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

٢٠ - فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ ... بِتَوبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا؟

٢١ - فَرَأْسُ الْعِلمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَأَسْتَا

---

(١) في نسخة: (ذخره).

(٢) في نسخة: (بربربه كلفتا).

٢٢- وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَكِنْ ... نَرَى ثَوبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

٢٣- إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيرًا ... فَخَيرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

٢٤- وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيتَكَ مَا فَهِمْتَا

٢٥- سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا ... وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا

٢٦- وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَإِنْ فُقِدْتَا

٢٧- وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ ... إِذَا حَقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا [(١)]

٢٨- وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا ... وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا[(٢)]

٢٩- فَسَوفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا ... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا

٣٠- إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا

٣١- فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى ... فَمَا بِالْبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا[(٣)]

٣٢- وَلَا تَخْتَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ ... فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

٣٣- وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى ... وَلَو مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

---

(١) وفي نسخة: (وتَغْبِطُها إذا عَنْهَا شُغِلْتا).

(٢) هَذَا البَيتُ لَيسَ فِي نُسْخَةِ القَاسِم.

(٣) هَذَا البَيتُ لَيسَ فِي نُسْخَةِ القَاسِم.

٣٤- سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا

٣٥- وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي ... إِذَا بِالْجَهْلِ نَفْسَك قَدْ هَدَمْتَا

٣٦- جَعَلْتَ المَالَ فَوقَ الْعِلْمِ جَهلًا ... لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

٣٧- وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَونٌ ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا "طَهَ" قَرَأْتَا

٣٨- لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ ... لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

٣٩- وَإِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا ... لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

٤٠- لَئِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

٤١- وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي ... فَكَم بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟

٤٢- وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا ... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

٤٣- فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ ... إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا

٤٤- فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي ... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

٤٥- وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَولًا وَفِعْلًا ... وَتَاجَرْتَ الْإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

٤٦- فَلَيْسَتْ هَذِه الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا

٤٧- وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا ... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلُمْتَا

٤٨- سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ ... فَكَيفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا؟

٤٩- وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَا

٥٠- وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابًا ... وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا

٥١- وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدْتَا

٥٢- وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ ... لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا

٥٣- وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا ... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا

٥٤- وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا ... إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُزْتَا

٥٥- فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا ... مِنَ الفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا

٥٦- وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَـهْوًا... فَإِنَّكَ سَوفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

٥٧- وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورُ وَأَنتَ رَهْنٌ ... وَمَا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غُلِلْتَا؟

٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ... وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَّ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

٦١- وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا ... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

٦٢- وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ ... وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

٦٣- وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى ... بِنُصْحِكَ لَوْ لِفِعْلِكَ[1] قَدْ نَظَرْتَا

٦٤- تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَومًا ... وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا

٦٥- وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا ... وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا

٦٦- وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا ... فَمَا لَكَ بَعدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا

٦٧- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الْخَطَايَا ... كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا

٦٨- وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيًّا أُمِّ دَفْرٍ ... وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا

٦٩- وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

٧٠- وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ ... وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْتَهَكْتَا

٧١- وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا ... وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

٧٢- وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ ... وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

٧٣- وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي ... وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيخٌ قَدْ تَفَتَّى

٧٤- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي ... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

٧٥- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا ... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا

(١) في نسخة: (بعقلك).

٧٦- فَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خوفًا ... لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا

٧٧- وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ ... أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا

٧٨- ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى ... لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْتَا

٧٩- وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى المَعَاصِي ... وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا

٨٠- رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا

٨١- وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ ... وَنُوقِشْتَ الحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا

٨٢- وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ ... عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَومَ الحَشْرِ فَرْدًا ... وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِل فِيهِ شَتَّى

٨٤- لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا ... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

٨٥- تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ ... فَهَلَّا عَنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا

٨٦- وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا ... وَلَو كُنتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا

٨٧- فَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

٨٨- أَبَا بَكْرٍ كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيبِي ... وَأَكْثَرُهُ وَمُعْظَمُهُ سَتَرْتَا

٨٩- فَقُل مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي ... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

٩٠- وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي ... بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

٩١- فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهْيَ عَارٌ ... عَظِيمٌ يُورِثُ الْمَحْبُوبَ مَقْتَا

٩٢- وَتَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا ... وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

٩٣- كَمَا الطَّاعَاتُ تُنْعِلُكَ الدَّرَارِي ... وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا

٩٤- وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا ... وَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا

٩٥- وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا عَزِيزًا ... وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَا

٩٦- وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعرفْ بِعَيبٍ ... وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

٩٧- وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيدَانِ زُورٍ ... وَلَا أَوْضَعتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

٩٨- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ ... وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

٩٩- وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

١٠٠- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ ... وَكَيفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

١٠١- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ ... كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

١٠٢- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا ... وَكُنْ كَـ"السَّامِرِيِّ" إِذَا لُمِسْتَا

١٠٣- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامٌ ... لَعَلَّكَ سَوفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

١٠٤- وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ ... تُنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

١٠٥- وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيمٌ ... يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

١٠٦- وَغَرِّبْ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ ... وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

١٠٧- فَلَيسَ الزُّهدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا ... لَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا

١٠٨- وَلَو فَوقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا ... سُمُوًّا وَافْتِخَارًا كُنتَ أَنْتَا

١٠٩- فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا ... إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا

١١٠- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا ... بِإِجْلَالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

١١١- جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا ... حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امِتَثَلْتَا

١١٢- وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ ... لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

١١٣- وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهْوِي ... وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَا

١١٤- وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا(١) حِسَانًا ... وَكَانَتْ قَبلَ ذَا مِائَةً وَسِتًّا

١١٥- وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي ... وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ مَا ذَكَرْتَا



(١) في نسخة: (ستًّا).

قال رحمه الله تعالى:

١- تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

٢- وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

٣- أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ[1] ... أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتًّا

٤- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا

٥- فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

التعليق:

١- لم يستفتح بالحمد والصلاة، وهذا نقص في النظم، قال: (تفت فؤادك الأيام) يذكر بأن الأيام تأخذ من وقت الإنسان وعمره، ومن قلبه وعقله وهمه فهي تشتت الذهن، وتدني العبد من الموت ووضح ذلك بقوله: (وتنحت جسمك الساعات نحتًا) الأيام كلما ذهبت ذهب جزء من عمرك، وهذا حال الدنيا، كلما كبرت يومًا نقص من عمرك يوم.

٢- (وتدعوك المنون دعاء صدق) المنون: الموت، يدعوك دعاء صادق لا بد منه. (ألا يا صاح أنت أريد أنت) فما من أحد إلا وسيموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ والسعيد هو من سابق الأيام في الأعمال الصالحة.

٣- (أَرَاك تحب عِرسا ذَات غَدر) عرسًا يعني: الدنيا، شبهها بالعروس المزيّنة، (ذات غدر)

---

(١) في نسخة: (ذات خدر).

تمكر بمن وثق بها، وفي نسخة (ذات خدر) يعني ما زالت بكرًا لم ينلها أحد قبلك. (أبت طلاقها) يعني طلقها الأكياس طلاقًا بتاتًا لا رجوع فيه، (الأكياس) العقلاء، يقول أنت تحب الدنيا كما يحب العروس عروسته، وأما العقلاء والزهاد والعلماء فإنهم أعرضوا عن الدنيا إعراضًا تامًا، وفي الأثر: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ».

٤- (تنام الدهر ويحك في غطيط) في للغفلة، تعيش دهرك وزمنك وأنت غافل، أشبه بمن يلازم نومًا ثقيلًا، غفلة شديدة. (حتى إذا مت انتبهت) هكذا بعض الناس تدوم به الغفلة فلا ينتبه إلا بالموت، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

٥- (فكم ذَا أَنْت مخدوع) مخدوع بالدنيا بزينتها وزخرفها والجري وراءها. (وَحَتَّى مَتى لَا ترعوي عَنْهَا وَحَتَّى) إلى متى لا ترجع؟ متى ستعقل؟ متى ستنتبه؟ حتى لا تؤذن بك الدنيا إلى الهلاك.

استفتح بهذه الأبيات التي يعاتب فيها صاحبه لينتبه من غفلته، وليعتني بنصيحته.



[فضل العلم]

٦- أَبَا بَكْرٍ دَعَوتُكَ لَو أَجبتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

٧- إِلَى عِلمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيتَ وَإِنْ أَمرتَا

٨- وَيَجلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا ... وَيَهدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا

٩- وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَ

١٠- يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ[١] لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

التعليق:

٦- (أَبَا بكر دعوتك لَو أجبتا) أبا بكر هذا مثال كما سمعت، (دعوتك) يعني نصحتك وكذلك حثثتك، إلى ماذا؟ (إِلَى مَا فِيهِ حظك لو عقلتا) إلى أمر فيه الحظ الوافر من ناحية الدين والدنيا.

٧- (إِلَى علم) علم الكتاب والسنة، (تكون به إمامًا) تكون إمامًا للناس بالخير، فالعلم يجعلك إمامًا بالخير (مطاعًا إن نهيت وإن أمرت) إن أمرت الناس بالخير فعلوا، وإن نهيتهم عن الشر انتهوا، وهذه من ثمرات العلم العظيمة، قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ بالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين، بالعلم والصبر والاستمرار يصبح الإنسان إمامًا، (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) يهدون بأمرنا أي: بشرعه سبحانه، فالعلم

---

(١) في نسخة: (ذخره).

شرفه رفيع وعظيم.

٨- (ويجلو مَا بِعَيْنِك من غشاها) يزيل عنك الجهل الذي يغطي على العين والقلب، ويجعلك تُبصر الحق وتُبصر الطريق المستقيم، فالعلم نور: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (ويهديك الطريق إذا ضللت) تعرف بالعلم طريق الحق طريق الجنة.

٩- (وَتحمل مِنْهُ فِي ناديك تاجًا) بدأ يعدِّد فضل العلم يقول: حامل العلم أشبه بحامل التاج، الذي يحمل التاج بمعنى الملك يعتبر أشرف القوم، وهكذا من يحمل العلم هو أشرف القوم، بل تاج العلم أعظم من تاج الملك، ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (ويكسوك الجمال الجمال) الحُسْن: (نضر الله إمرأً سمع منَّا حديثًا فحفظه) فعبَّر بالجمال المعنوي، (إذا عريت) إذا كان عندك نقص في الماديات أو نقص في الدنيا أو في الوجاهة أو ما أشبه ذلك فإن العلم يغطي كل العيوب.

١٠- (ينالك نَفعه مَا دمت حَيا) تنفع نفسك وترفع الجهل عن نفسك وترفع الجهل عن المسلمين وتكسب الشرف والانشراح والسعادة، هذه مكاسب دنيوية، وأيضًا في الآخرة الأجر والثواب، (وَيبقى ذخره لَك إِن ذهبتا) وبعد الموت يبقى أجره كصدقة جارية، ويبقى ذكرك في الناس، ينسب إليك العلم، قال الشيخ فلان رحمه الله تعالى، وكان الشيخ فلان يقول كذا، ويفتي بكذا، كما ترون نقرأ الكتب في أيامنا إلى ما شاء الله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ" رواه مسلم.

****

١١- هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

١٢- وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفُ الْحَملِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

١٣- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

١٤- فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِن حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَا

١٥- وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا

التعليق:

١١- (هُوَ الْعَضَب المهند) السيف القاطع، والمهند نسبة إلى الهند لجودة سيوفها، بمعنى أن العلم سيف حاد، (ليس ينبو) لا يرجع دون قطع، فلا يخيب من ضرب به (تصيب به مقاتل من ضربت) بحيث إذا تكلمت في أهل الضلال بعلم فإنك تكشف عوارهم، وتزيل باطلهم، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

١٢- (وكنز لَا تَخَاف عَلَيْهِ لِصًّا) كنز العلم كنز عظيم، لأنه شيء جليل القدر، لا تخاف عليه السرقة لأنه في صدرك، ما يستطيع أحد أن ينزعه من صدرك، (خفيف الحمل) لأن العلم شيء معنوي (يوجد حيث كنت) هذا لمن حفظ، لمن كان علمه في صدره، أما من كان علمه في كتابه فقط فإنه إذا خرج من عند الكراريس والكتب يبقى كسائر الناس.

١٣- (يزيد بكثرة الإنفاق منه) يزيد بالتعليم بالوعظ، والتعليم له فوائد ومنها أنه يقوّي الحفظ ويقوّي الفهم ويقوّي النشاط، إلى جانب ما فيه من الأجر العظيم في الآخرة. (وَينْقص أَن بِهِ كفا شددتا) إذا لم تعلِّم ينقص علمك، لذلك ننصح من أراد أن يفتح الله عليه

في العلم أن يدرِّس ليلًا ونهارًا، اجعل لك وقتًا للحفظ وللمراجعة، وباقي الوقت أنفقه في التعليم، هذا أفضل من أن تقرأ بمفردك.

١٤- (فَلَو قد ذقت من حلواه طعما) حلاوة العلم لأنه من جهة من الإيمان، والإيمان له حلاوة يجدها القلب حقيقية، (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ...)، ومن جهة أخرى حين تجد المعلومات وتستفيد تجد لذة ونشوة وراحة.

(لآثرت التَّعَلُّم واجتهدت) إذا عرفت فضائل العلم حق المعرفة ستجتهد ليلًا ونهارًا، لن تلعب لن تكسل لن تفتر، لأن تتعلم وتُعلم أفضل من أن تبني مسجدًا، لأن العلم ينتشر في كل مكان، ويبقى للمسجد قيمته إن وجد من يعلِّم، ويبقى منبراً للتوحيد والسنة.

١٥- (وَلم يشغلك عَنهُ هوى مُطَاع) إذا عرفت حق العلم فلن يشغلك عنه هوى، سواء كان هذا الهوى ملذات النفس وشهواتها أو ما يشبه ذلك من أمور رفاهية، ستتركها وتبقى مع العلم، (وَلَا دنيا بزخرفها فتنت) فضول الدنيا والأشغالُ والأعمالُ والتجاراتُ كل هذه الزخارف ستُعرض عنها لماذا؟ من أجل العلم والآخرة، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، فأنت إذا أردت أن تجمع الكثير من الدنيا وتتعلم لم تستطع؛ لكن أعرض عن الدنيا وأقبل على العلم وخذ من الدنيا بقدر الحاجة.

****

١٦- وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوضٍ ... وَلَا خِدْرٌ بِزِينتِهِا فُتِنْتَا[1]

١٧- فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي ... وَلَيسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا

التعليق:

١٦- (وَلَا ألهاك عَنهُ أنيق روضٍ) تذهب تتمشى في الحدائق والأنهار كما يقول بعضهم: يروِّح على نفسه، كل يوم وهو يروِّح على نفسه، ولا بأس بالترويح على النفس أحيانًا، أما كل يوم هذا ضياع للوقت. (ولا خدر بزينتها كلفتَ) أي: ولن تشغلك عن العلم زوجة تبقى مشغولاً بحبها بل ستجعل لأهلك نصيبًا من الوقت ثم تجعل باقي الوقت للعلم، فلدينك وعلمك عليك حق، ولأهلك عليك حق، فلا يشغلك هذا عن هذا.

١٧- (فقوت الرّوح أَرْوَاح الْمَعَانِي) غذاء ودواء الروح والقلب هو أرواح المعاني يعني علوم الشريعة وفهم معانيها والعمل بها، بالعلم والعمل والإيمان والخشية، (وليس بأن طعمت ولا شربت) هذا ينفع الجسد أما القلب والروح فالذي ينفعها العلوم والزهديات والرقائق.

****

(١) في نسخة: (بربربه كلفتا).

١٨- فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللهُ انْتَفَعْتَا

١٩- وَإِنْ أُوْتِيْتَ فِيهِ طُولَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

٢٠- فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ ... بِتَوبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا؟

٢١- فَرَأْسُ الْعِلمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَن يُقَالَ لَقَدْ رَأَسْتَا

٢٢- وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَكِنْ ... نَرَى ثَوبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

التعليق:

١٨- (فواضبه وخذ بالجد فيه) هذه نصيحة بالجد، (واظبه) استمر في طلب العلم واستمر في الجد، الذين بلغوا رتبة رفيعة في العلم بلغوا هذا من طريقين: الأول الاستمرار في طلب العلم والثاني الاستمرار في الاجتهاد. بعض الناس يستمر في طلب العلم سنوات لكن بدون جد واجتهاد، وبعضهم عنده جِد واجتهاد لكن ينقطع، فإذا كان الإنسان يخاف الله تعالى ويراقب الله سبحانه، وعنده استمرار في العلم وجد واجتهاد، فإنه سيصبح إمامًا للناس، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾. (فإن أعطاكه الله انتفعت) في الدنيا وفي الآخرة.

١٩- (وَإِن أُوتيت فِيهِ طَوِيل بَاعَ) أعطاك الله تعالى علمًا كثيرًا وأصبحت تفهم فنون العلم، أو تؤلف، (وَقَالَ النَّاس إِنَّك قد سبقتا) أصبحوا يقولون: فلان عالم، فلان مستفيد، فلان فتح الله سبحانه وتعالى عليه.

٢٠- (فَلَا تأمن سُؤال الله عَنهُ) بقي شيء آخر بعد العلم، وهو العمل به، (بتوبيخ) وهو

السؤال مع الذم وهذا في حق من لم يعمل بعلمه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، (علمت فَهَل عملتا) هل عملت وهل أخلصت جاء في الحديث: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن علمه: ماذا عمل به).

٢١- (فرأس الْعلم تقوى الله حَقًّا) رأس العلم تقوى الله سبحانه وتعالى، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ أي: اتقوا كما علمكم، وهي: العمل بالكتاب والسنة، ونحن نتحدث عن علم الكتاب والسنة، متى نقول هذا انتفع بالعلم وهذا لم ينتفع بالعلم؟ إذا رأيت صاحب العلم يتقي الله تعالى ويظهر عليه الأخلاق الطيبة فهذا انتفع بالعلم، ورأس التقوى توحيد الله تعالى واتباع نبيه عليه الصلاة والسلام. وإذا رأيت الشخص متعلم لكنه زائغ في عقيدته أو زائغ في اتباعه عنده بدع وضلالات، أو ليس عنده دين وتقوى بل عنده طيش عنده معاصي عنده ذنوب، يُرى مع السفهاء، فهذا لم ينتفع بالعلم.

٢٢- (وأفضلُ ثَوْبك الْإِحْسَان) أفضل ما يتزين به طالب العلم الإحسان، والإحسان أعلى درجات التقوى والورع والأخلاق، (لكن نرى ثوب الإساءة قد لبستا) بدأ الآن في العتاب لهذا الشخص، يقول: أراك ما انتفعت بالعلم، نجد عندك قلة العبادة أو سوء الأخلاق أو سوء العقيدة، فهذا هو ثوب الإساءة.



٢٣- إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيرًا ... فَخَيرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

٢٤- وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيتَكَ مَا فَهِمْتَا

٢٥- سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا ... وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا

٢٦- وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَإِنْ فُقِدْتَا

٢٧- وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ ... إِذَا حَقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا (١)

التعليق:

٢٣- (إِذا لم يفدك الْعلم خيرًا) إذا لم تزدد خيراً كلما تعلمت؛ (فَخير مِنْهُ أَن لَو قد جهلتا) فليس بينك وبين الجاهل فرق، وعلمك حجة عليك، (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ).

٢٤- (وَإِن أَلْقَاك فهمك فِي مهاو) إذا كان فهمك للعلم أدى بك إلى فهم خاطئ حتى وقعت في مهلك في هاوية في خطأ في العقيدة أو ما أشبه ذلك، مثل الذين فهموا من نفي التمثيل التعطيلَ، فيقولون: الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعني: ليس لله وجه وليس له يد وليس له علم وليس له نزول ولا مجيء!، هذا الفهم أرداهم في هلاك أرداهم في بدعة كبيرة، وآخر قد يفهم من الحديث فهما خاطئًا كما يُذكر عن الحجاج أنه كان يقرأ حديث الولاء: (من أتاكم وأمركم جميعًا يريد أن يفرق جمعكم فاضربوا عنقه بالسيف) فكان كلما حدث من شخص شيء يخالفه يقتله حتى ذكر أنه قتل أعدادًا كثيرة، والخوراج قرأوا أحاديث الوعيد ففهموا منها تكفير من وقع في الكبيرة، والصوفية نظروا في أحاديث الكرامات وفضائل الصالحين

(١) وفي نسخة: (وتَغْبِطُها إِذا عَنْهَا شُغِلْتا).

فجعلوهم وسائط بينهم وبين الله تعالى وصرفوا لهم الذبح والنذر والدعاء وغيرها، والرافضة نظروا في أدلة فضائل آل البيت فغلوا فيهم، فالفهم قد يؤدي بالإنسان إلى الهاوية. فلذلك كانت أصول العلم تقوم على ثلاث أشياء: النظر الصحيح والحفظ والفهم السليم.

٢٥- (ستجنى من ثمار الْعَجز جهلا) يخاطب الذي لا ينشط لطلب العلم، يحضر الدرس وينتظر متى ينتهي من أجل أن يرتاح، كثير النوم، قليل المراجعة، وهذا هو العجز، وأول شيء تجني من العجز أنك تعيش جاهلًا وتموت جاهلًا (وتصغر في العيون إذا كبرت) كلما كبرت في العمر صغرت في العيون واحتقرك الناس، حين يكون الشخص عمره كذا وكذا ولا يعرف تلاوة القرآن أو لا يفهم شيئًا من العلم أو لا يعرف الصلاة هذا عيب فيه.

٢٦- (وتفقد إِن جهلت وَأَنت بَاقٍ) ينسونك ولا يلتفتون إليك، وهذه أيضا من أضرار الجهل، وهذا في حق من لم يكن له عمل آخر كالجهاد أو العبادة أو النفقة أو غيرها من الخيرات، (وتوجد إِن علمت وَقد فقدت) حتى لو مت أو غبت فالناس يذكرونك بالعلم يذكرونك بالكتب، يذكرونك بسبب طلابك الذين علمتهم، قال ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) من علَّم علمًا، من علم آية، فله أجرها ما تليت.

٢٧- (وتذكر قولتي لَك بعد حِين) بعض الناس تنصحه في الشباب أو في الطفولة أو في وسط عمره فلا يأخذ بنصيحتك ثم إذا كبر عرف أنه أخطأ في تفريطه بالعلم فيذكر ولكن بعد فوات الفرصة، ومع ذلك فإننا نقول من فاته العلم في الشباب فليستدرك بعد ذلك ولا ييأس قط، لا يجمع بين عجز الماضي وعجز المستقبل، بل عليه أن يجد ويجتهد ويتعلم لو لم يستفد كبير شيء يكفي أنه يموت وهو مسجل في صحف الملائكة طالب علم، (إِذَا حَقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا) ترى ثمرتها وتذكر كلامي.

٢٨- وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا ... وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا[١]

٢٩- فَسَوفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا ... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا

٣٠- إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا

٣١- فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الهُوَيْنَى ... فَمَا بِالْبُطْءِ تُدْرَكُ مَا طَلَبْتَا[٢]

٣٢- وَلَا تَخْتَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ ... فَلَيْسَ المَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

التعليق:

٢٨- (وإن أهملتها ونبذت نصحي) وهذا يصح في النصيحة التي هي على الكتاب والسنة (ونبذت) تركت وأعرضت عنها، لم تبالِ به، (وملت إلى حطام قد جمعتا) وملت إلى حطام الدنيا واشتغلت بالمال وبالتجارات وبالسيارات والعمارات، إذا فعلت هذا ذهب عمرك بلا علم ولا آثار.

٢٩- (فسوف تعض من نَدم عَلَيْهَا) من شدة الندم على ما فرَّطت في زمن الشباب، (وما تغني الندامة إن ندمت) لا ينفعك الندم لكن إن ندم الإنسان وبادر إلى الاستدراك هذا ينفعه، سواء في العلم أو في العبادة أو في الأخلاق، التحسر يوم القيامة لا ينفع ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾، لكن أن تقول في الدنيا ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله تعالى، ثم تجد وتجتهد هذا ينفع، وقد طلب بعض العلماء العلم وقد تجاوز الأربعين وفتح الله جل وعلا

---

(١) هَذَا البَيتُ لَيسَ فِي نُسْخَةِ القَاسِم.

(٢) هَذَا البَيتُ لَيسَ فِي نُسْخَةِ القَاسِم.

عليه، وقد ذكر عن ابن الجوزي أنه قرأ القراءات السبع وقد جاوز الستين فحفظها وأتقنها.

٣٠- (إِذا أَبْصرت صحبك فِي سَمَاء) إذا رأيت زملاءك أصبحوا في منزلة رفيعة في العلم، أصبح عندهم الطلاب والدروس، وأصبح الناس يرجعون إليهم في الفتوى، ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (قد ارتفعوا عليك وقد سفلت) أنت فلان ذاك الجاهل ما تغيرت.

٣١- (فَرَاجعهَا) عاتب نفسك، (ودع عَنْك الهوينى) اترك عنك الكسل والتشاغل بالدنيا، (فَمَا بالبطء تدْرك مَا طلبتا) لا تكن بطيئًا في الخير، هذا المشي البطيء ما تُدرَك به منازل العلماء، ومن وفق للجد والاجتهاد سيجد ثمرة كبيرة، والله المستعان، انظر كيف قال الله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ في أمور الآخرة والعلم سابقوا وسارعوا ونافسوا بأدب، وفي أمور الدنيا ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ إن تيسر لك سبب للرزق ولو قليل، المهم أن تقبل على العلم والعمل.

٣٢- (وَلَا تختل بِمَالك) لا تتكبر بمالك (واله عَنهُ) أي اترك الجري وراء المال فوق ضرورياتك وابتعد عن الخيلاء والكبر، (فَلَيْسَ المَال إِلَّا مَا علمتا) ليس المال إلا فتنة ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وإنما رأس المال الحقيقي هو العلم والعمل والأخلاق.

****

٣٣- وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى ... وَلَو مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

٣٤- سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا

٣٥- وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي ... إِذَا بِالْجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

٣٦- جَعَلْتَ المَالَ فَوقَ الْعِلْمِ جَهلًا ... لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

٣٧- وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَونٌ ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا "طَهَ" قَرَأْتَا

التعليق:

٣٣- (وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاس معنًى) الجاهل ليس له معنى كبير، وهذا في حق الجاهل الذي لم يسابق في أبواب أخرى من الخير، ليس من أهل العبادة، ولا من أهل النفقة، ولا من أهل الجهاد،... فهذا ليس له معنى في الناس، (وَلَو ملك الْعِرَاق لَهُ تأتى) ولو كانت أمواله كأموال السلاطين، كما كان في العراق في الدولة العباسية في زمن الناظم، لكن من كان عنده مال وهو يعين على أبواب الخير فهذا في خير، ومن كان مشغولًا عن العلم مقبلًا على العبادة لكونه يرى أنها أنفع له، وأنه لا يستفيد كثيرًا أو لا يقدر أن يحفظ ويفهم كثيرًا، كلٌّ يسد بابًا من أبواب الخير، لكن الجاهل الذي ليس من هذا ولا من ذاك هذا منسي بين الناس.

٣٤- (سينطق عَنْك علمك فِي ملاءٍ) سيظهرك علمك أمام الكبار والصغار من الناس، حتى الأمراء والوزراء، (وَيُكْتَب عَنْك يَوْمًا إِن كتبتَا) إن أردت أن تملي على الطلاب الأحاديث أو الكتب فإنهم يتسابقون إلى هذا العلم ونشره.

٣٥- (وما يغنيك تشييد المباني) ما يغنيك وأنت جاهل أن تشيد المباني البيوت القصور لأنك بالجهل هدمت نفسك وقيمتك، فالجاهل الذي ليس من أهل السباق في الأبواب التي ذكرنا يعتبر أشبه بالبيت المهدوم.

٣٦- (جعلت المال فوق الْعلم جهلا) ظننتَ أن المال أفضل من العلم وهذا بسبب جهلك بحقيقة العلم وحقيقة المال، (لعمرك فِي الْقَضِيَّة مَا عدلتا) أنت بهذا الحكم ما عدلت لأن العلم أفضل وستأتي أبيات يفاضل فيها بين المال والعلم.

٣٧- (وَبَينهمَا بِنَصّ الْوَحْي بون) بينهما فرق شاسع، (ستعلمه إِذا طه قرأتا) إذا قرأت قول الله جل وعلا: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ما قال زدني مالًا، لأن المال ستنال منه ما كتب لك.



٣٨- لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ ... لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

٣٩- وَإِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا ... لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

٤٠- لَئِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

٤١- وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي ... فَكَم بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟

٤٢- وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا ... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

التعليق:

٣٨- (لَئِن رفع الْغنى لِوَاء مَال) لئن ظهر الغني بماله مفتخرًا وصار له الأتباع بسبب المال (لأَنْت لِوَاء علمك قد رُفِعَتَا) فأنت عندك لواء العلم وهو الفخر والشرف، وستجد من الأحباب والأنصار والطلاب أضعاف ما وجد هذا الغني.

٣٩- (وَإِن جلس الْغنى على الحشايا) لئن جلس فوق الفراش الناعم المرتفع، وسيارة فخمة وبيت راقي،... (لأَنْت على الْكَوَاكِب قد جلستا) لأن منزلة العالم في الناس كمنزلة القمر، بسبب الرفعة التي نالها من العلم، كما قال عليه الصلاة والسلام: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب).

٤٠- (وَإِن ركب الْجِيَاد مسومات) إن ركب الخيل المدربة والمزيمة أو السيارات الضخمة، (لأَنْت مناهج التَّقْوَى ركبتا) أنت على علم عظيم يدلك على أبواب التقوى، ولا شك أن ما يدل على الخير والتقوى أفضل؛ لأنه ينفعك في الدنيا وينفعك في الآخرة، أما الغني فإذا مات انتهى كل شيء، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ) متفق عليه.

٤١- (وَمهما افتض أبكار الغواني) الغواني: النساء الجميلات، لأنه بماله يغري الناس ويتزوج بالجميلات، والناس يدفعون ببناتهم وربما تكون صغيرة لرجل كبير طمعًا في ماله، (فكم بكر من الحكم افتضضتا) الحِكَم جمع حكمة وهي هنا الفائدة والمسألة فهمتها، فهذا أفضل مما حصل عليه الغني، ومن جمع الله تعالى له بين العلم والمال فهو خير على خير.

٤٢- (وَلَيْسَ يَضرك الإقتار شَيْئا) لا يضرك القلة في المال ولا الجاه لا يضرك شيئًا في حالة واحدة ما هي؟ (إذا ما أنت ربك قد عرفت) ليس المشكلة أن تعيش فقيرًا، المشكلة أن تكون فقيرًا وجاهلًا، فقيرًا وعاصيًا، أما كون الدنيا التي بيدك قليل وأنت عابد زاهد مقبل على العلم فلا يضرك، قال صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا لِي، وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ، قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه أحمد.



٤٣ – فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ ... إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا

٤٤ – فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي ... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

٤٥ – وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا ... وَتَاجَرْتَ الْإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

التعليق:

٤٣ – (فَمَاذَا عِنْده لَك من جميل) كم عند الله جل وعلا من جميل الأجر والثواب، جنة عرضها السماوات والأرض، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (إِذا بِفنَاء طَاعَته أنختَ) إذا كنت ملازمًا للطاعة (أنخت) يقال أناخ البعير إذا أربضه فهذا تشبيه بمعنى لزوم الطاعة لله تعالى.

٤٤ – (فقابل بِالْقبُول لِنُصْحِ قَوْلِي) والناصح يكون رحيمًا بالمنصوح ومريدًا للخير له، (فَإِن أَعرَضت عَنهُ فقد خسرت) إذا أعرضت عن النصيحة وهي موافقة للدين الحق تخسر.

٤٥ – (وَإِن راعيته قولًا وفعلًا) بالقبول بقلبك وبالعمل (وتاجرت الْإِلَه بِهِ ربحتا) عملت من أجل الأجر والثواب من الله تعالى، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التجارة هي ماذا؟ العمل مع الله تعالى.

****

٤٦ - فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا

٤٧ - وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا ... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلُمْتَا

٤٨ - سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ ... فَكَيفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا؟

٤٩ - وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَا

٥٠ - وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابًا ... وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا

التعليق:

٤٦- (فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْء) الدنيا متاع قليل جدًّا، قال عليه الصلاة والسلام: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» لا يرجع بشيء، فالدنيا كلها قليل ومتاعها حقير، (تسؤوك حقبة) أي: متاعبها كثيرة ربما سنين طويلة، وأيام كثيرة، أغلب الأيام تعاني من أتعاب الدنيا، إما الفقر وإما المرض وإما المشاكل، (وتسر وقتَ) أي: سرورها قليل وقصير.

٤٧- (وغايتها) حقيقتها ونهايتها (إذا فكرت فِيهَا) تأملت وأعملت عقلك، (كفيئك) وهو الظل سرعان ما يتغير، (أَو كحلمك إِن حلمتا) ثم استيقظت فلم تر شيئًا، هذه هي الدنيا، ومع هذا طبعتْ على كدر فلا تردها صفوًا فلن تصفو لك.

٤٨- (سجنت بهَا) يشير إلى حديث: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، المؤمن فيها مقيد في حدود معلومة، بما أمر الله تعالى وبما نهى، كذلك إذا قسنا الدنيا بالآخرة فالدنيا سجن لأنها شيء قليل وضيق كالسجن، (وَأَنت لَهَا محب) يحبها كثير من الناس (فَكيف تحب مَا فِيهِ

سجنت) وهذا عجيب، ولكن زخرفها هو السبب في خداع الكثير.

٤٩- (وتطعمك الطَّعَام) تأكل وتشرب من متاع الدنيا وملذاتها، (وَعَن قريب ستطعم مِنْك مَا مِنْهَا طعمت) إذا دفنت في باطنها ستأكل جسمك فيذهب ذلك الطعام الذي غذيت به الجسم في التراب، ويأكله الدود.

٥٠- (وتعرى إِن لبست لَهَا ثيابًا) إذا تجمّلت بالدنيا واهتممت بالدنيا كما تهتم بثيابك، ستترك وتصبح كالعاري، (وتكسى إِن ملابسها خلعت) خلعتها بالزهد فيها، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.



٥١- وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدْتَا

٥٢- وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ ... لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا

٥٣- وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا ... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا

٥٤- وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا ... إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُزْتَا

٥٥- فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا ... مِنَ الفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا

التعليق:

٥١- (وَتشهد كل يَوْم دفن خل) ترى أصحابك يموتون وبعض أهلك يموتون وجيرانك يموتون، ومع ذلك لا تعتبر (كأنك لا تراد لما شهدت) لماذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على زيارة القبور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ»، لتتذكر الموت وأنك ستموت، وتتبع الجنازة وتدفنها تتفكر أنك أيضًا ستدخل كما دخلوا.

٥٢- (وَلم تخلق لتعمرها) لتبني الدنيا ولا من أجل أن تزينها ولا من أجل أن تشتغل فيها طوال عمرك، يكفيك منها ما لابد منه، (ولكن لتعبرها)الدنيا ممر يتزود منها العبد للآخرة أثناء عبوره، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (فجد لما خلقت) جِد بالعلم والعمل.

٥٣- (وَإِن هُدمت فزدها أَنْت هدمًا) وإن هدمت يعني إن قل نصيبك من الدنيا (فزدها أنت هدما) كيف تزيد الدنيا هدمًا بالقناعة وعدم الجريء وراءها، (وحصن أَمر دينك مَا

استطعت) حافظ على دينك بقوة، لأن الحصن يكون قويًّا.

٥٤- (ولا تحزن على ما فات منها) لا تحزن على ما فاتك من الدنيا، ما فاتك ليس رزقًا لك، فلا تحزن عليه لن تموت نفس حتى تستوفي ما لها عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ» رواه ابن ماجه وغيره. (إِذا مَا أَنْت فِي أخراك فزتا) أي: عملت بما يكون سبب فوزك في الآخرة، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٥٥- (فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نلْت فِيهَا من الفاني) إذا جمعت من الدنيا ككنوز قارون وكنت في الآخرة في العذاب ما الذي تستفيد؟ لا تستفيد شيئًا، قال الله جل وعلا: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (إِذا الْبَاقِي حرمتا) إذا حرمت من نعيم الآخرة.

****

٥٦- وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَـهْوًا... فَإِنَّكَ سَوفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

٥٧- وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورُ وَأَنت رَهْنٌ ... وَمَا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غُلِلْتَا؟

٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ... وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَّ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

٦١- وَأَكْثِرِ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا ... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

٦٢- وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ ... وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

التعليق:

٥٦- (وَلَا تضحك مَعَ السُّفَهَاء لهوًا) من هم السفهاء هنا، الذين يلعبون بدينهم أو دنياهم، شخص سيء التصرف في دنيا ومفرِّط في دينه هذا لا تجالسه، إنه جليس سوء، (ومثل جليس السوء كنافخ الكير) (فَإِنَّك سَوف تبْكِي إِن ضحكت) يجرك إلى المعاصي والذنوب واللعب وضياع الأوقات، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

٥٧- (وَكَيف لَك السرُور وَأَنت رهن) مرهون ومحبوس بعملك، (وَلَا تَدْرِي أتفدى أم غللتا) لا تدري أتنجو أم تعذب وتغل في السعير ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾، جاء عن بعض السلف أنه ما كان يضحك فقيل لم لا تضحك؟ قال: كيف

أضحك وأنا لا أدري أنا من أهل الجنة أم من أهل النار.

٥٨- هذه الأبيات وما بعدها من باب التوجيه والنصح قال: (وسل من رَبك التَّوْفِيق فِيهَا) أدعو الله جل وعلا بالتوفيق، والتوفيق هو عون الله سبحانه وتعالى على الطاعات، وعون الله عز وجل على اجتناب السيئات، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (وأخلص فِي السُّؤَال إِذا سألتا) أخلص هنا بمعنى اجتهد، اجتهد في دعاء الله سبحانه وتعالى، وأخلص هذا الدعاء له عز وجل.

٥٩- (وناد إِذا سجدت لَهُ اعترافا) ادعو الله تعالى إذا سجدت اعترافًا بالذنب والتقصير بما ناداه ذو النون عليه السلام ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ما دعا بها أحد في كربة إلا فرج الله سبحانه وتعالى عنه عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ) رواه الترمذي.

٦٠- (ولازم بَابه قرعًا) بالدعاء أكثر وكرر الدعاء فإنه بمثابة قرع الباب ومن داوم على قرع الباب أوشك أن يفتح له (عساه سيفتح بَابه لَك إِن قرعتا) فلابد أن الله جل وعلا يستجيب الدعاء إذا كان خالصًا صوابًا، ثم بعد ذلك يعطيك ما طلبت في الدنيا أو يؤخر لك الأجر والثواب إلى الآخرة، فالدعاء كله خير، وفي الحديث: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمَ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكْشِفَ عَنهُ من السُّوءَ بِمِثْلِهَا). قَالُوا: إذًا نُكْثِرُ يَا نبي الله؟ قَالَ: (اللهُ أَكْثَرُ). رواه أحمد وغيره.

٦١- (وَأَكْثِر ذكره فِي الأَرْض دأبا) لا تفتر عن ذكر الله سبحانه كما في الحديث: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)، (لتذكر فِي السَّمَاء إِذا ذكرتا) لأن الله جل وعلا إذا ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه وإذا ذكرته في ملأ ذكرك في ملأ خير منهم، كما جاء هذا في عدد من الأحاديث، لو استشعر الإنسان هذه الفضيلة لما فتر عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

٦٢- (وَلَا تقل الصِّبَا فِيهِ امتهالٌ) لا تقل أنا ما زلت شابًّا سأتعمر وبعدها أتوب، (وفكر كم صَغِير قد دفنتا) فكم شاب وكم طفل، وكم إنسان في الثلاثين أو في الأربعين مات وشهدت دفنه، فالموت لا يميز الكبير من الصغير ولا الغني من الفقير ولا الملك من المملوك، الموت له ميعاد محدود ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.



٦٣- وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى ... بِنُصْحِكَ لَوْ لِفِعْلِكَ[1] قَدْ نَظَرْتَا

٦٤- تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَومًا ... وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا

٦٥- وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا ... وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا

٦٦- وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا ... فَمَا لَكَ بَعدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا

٦٧- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الْخَطَايَا ... كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا

التعليق:

٦٣- (وَقل لي يَا ناصحي) افترض الناظم أن المنصوح رد عليه بمثل هذه الأبيات (لأَنْت أولى بنصحك لَو لفعلك قد نظرتا) أنت أولى وأحق بهذه النصائح، لماذا تنسى نفسك، لو نظرت إلى أفعالك لوجدت أنك أحق بالنصح؛ لأن عندك التفريط والتقصير إلى غير ذلك ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٦٤- (تقطعني على التَّفْرِيط لومًا) أي: تلومني لومًا شديدًا، (وبالتفريط دهرك قد قطعت) أنت في حياتك كلها أو في أكثرها مفرطًا مقصرًا مذنبًا، جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ».

٦٥- (وَفِي صغري تخوفني المنايا) تخوفني من الموت وأنا في سن الشباب، (وَمَا تجْرِي ببالك حِين شخت) لماذا لا تخوف بذلك نفسك وأنت في سن الشيخوخة! والواجب على الإنسان أن

---

(١) في نسخة: (بعقلك).

يهتم بنفسه قبل أن يهتم بغيره، لكن ليس معنى هذا إذا نصحك ناصح بنصيحة صحيحة أن ترد عليه وتقول: وأنت مفرط. اقبل النصيحة ممن جاء بها ما دامت صحيحة صوابًا، ثم بعد ذلك إن رأيت أن تنصحه وأن تعظه بما عنده من التقصير ابتغاء وجه الله تعالى فلا بأس، وإلا من ذا الذي ما ساء قط، لو قلنا: إن الناصح لابد أن يكون تقيًّا ربما ما صفا منا إلا القليل.

٦٦- (وَكنت مَعَ الصِّبَا أهْدى سَبِيلا) وكنت في سن الشباب أحسن استقامةً، وأصلح منك اليوم (فَمَا لَك بعد شيبك قد نكست) لماذا أنت بحال الشيب والكبر أقل عبادة وأكثر معصية، وهذا قد يحصل في النادر، وإلا فالغالب على الناس أنهم في حال الكبر أصلح منهم في حال الشباب وأبعد عن المعاصي، ولكن قد يوجد العكس والأعمال بالخواتيم، وفي الحديث: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) والشيخ هنا كبير السن، فهؤلاء الثلاثة وقعوا في عكس ما يظن بهم.

٦٧- (وَهَا أَنا لم أخض بَحر الْخَطَايَا) لم أتعمق في الذنوب (كَمَا قد خضته حَتَّى غرقتا) في هذه الذنوب، وأهلكتك كما يهلك الغريق.



٦٨- وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيًّا أُمِّ دَفْرٍ ... وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا

٦٩- وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

٧٠- وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ ... وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْتَهَكْتَا

٧١- وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا ... وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

٧٢- وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ ... وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

التعليق:

٦٨- (وَلم أشْرب حُمَيًّا أم دفر) أنا لم أشرب الخمر، (وأنت شربتها حتى سكرت) سكرت بالدنيا والملذات، وربما بالمعاصي أو بالخمر، وقد بالغ الناظم في قول المنصوح، والنظم لا يحتاج إلى هذا، تكفيه جميل العبارة التي تؤدي المقصود.

٦٩- (وَلم أحلل بواد فِيهِ ظلم) الظلم للنفس والظلم للغير يقول المتكلم وأنا لم أشارك في هذا (وَأَنت حللت فِيهِ وانتهكت) وأنت حللت فيه وقربت من الظلمة أو جالست العصاة وانتهكت ما حرم الله سبحانه وتعالى.

٧٠- (وَلم أنشأ بعصر فِيهِ نفع) فيه علم فيه صلاح فيه أهل الخير كثير، (وَأَنت نشأت فِيهِ وَمَا انتفعت) وأنت نشأت في عصر فيه هذا الخير لكن بسبب انشغالك إما بالدنيا وإما بالمعاصي ما انتفعت، وهذا كما سبق من باب افتراض العتاب.

٧١- (لقد صاحبت أعلاما كبارًا) أعلامًا كبارًا من أهل الدين والعلم والصلاح، (وَلم أرك اقتديت بِمن صحبت) لم تعمل كعملهم وتصلح كصلاحهم، والفائدة من الاقتداء بأهل

العلم والصلاح كبيرة فقد كان السلف ربما يحضرون عند العالم ليس للعلم فقط؛ ولكن من أجل استفادة الأخلاق والسمت، فطالب العلم إذا درس عند أهل العلماء الكبار يستفيد فائدتين عظيمتين:

الأولى أنه يكسب العلم الصافي المحقق، فالعالم يعطيه زبدة العلم بعد تحقيق طويل، فيضع لك الضوابط الدقيقة التي تجعلك صاحب علم وفهم فكلامهم قليل لكنه رصين.

والفائدة الثانية أنك تستفيد من أخلاقهم وسمتهم وهديهم ودلهم فربما لو لاحظت أن بعض الطلاب الذين درسوا عند بعض المشايخ عليهم آثار هؤلاء المشايخ إما في الهدوء، والعكس في الذين درسوا عند مشايخ طائشين أو سليطي اللسان تجد الطلاب أشبه ما يكون بهم، فالشخص يختار ليس لأجل العلم فقط بل يختار من يتناسب معه علمًا وأخلاقًا وسمتًا.

٧٢- (وناداك الْكتاب فَلم تجبه) ناداك القرآن والسنة إلى التوبة إلى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، (ونبهك المشيب فَمَا انتبهتا) ظهر عليك المشيب وهو منبه ومؤذن بقرب الموت، من ظهر في رأسه أو لحيته البياض فذلك نذير الموت، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ النذير: الشيب.



٧٣- وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فَعْلُ التَّصَابِي ... وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيخٌ قَدْ تَفَتَّى

٧٤- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي ... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

٧٥- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا ... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا

٧٦- فَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوفًا ... لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا

٧٧- وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ ... أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا

التعليق:

٧٣- (ويقبح بالفتى فعل التصابي) ويقبح بالشاب فعل التصابي أي: الطيش، وعدم المبالاة بتضيع الأوقات، والجرأة على الذنوب، (وأقبح مِنْهُ شيخًا قد تفتى) أقبح من تصابي الشاب أن يكون الذي يفعل هذه الأفعال شيخ كبير كأنه فتى، فالكبر إذا لم يكن معه العقل والعبادة والإقبال على الله سبحانه والحكمة فهو ضرر على صاحبه.

٧٤- (فَأَنت أَحَق بالتفنيد مني) أنت أحق باللوم والتعزير والعتاب، (ولو كنت اللبيب) الذكي (لما نطقت) يقول لو أنت ذكي ما تكلمت معي بهذا الكلام.

وهذا الرد غير صواب كما تقدم فإن العاصي يَنصح ولو كان عاصيًا، ولا يمنع هذا من بذل النصيحة فهي حسنة من الحسنات.

٧٥- (ونفسك ذمّ لَا تذمم سواهَا) أي: حاسب نفسك (لا تذمم سواها) لماذا؟ قال: (لِعَيْب فَهِيَ أَجْدَر من ذممت) لكثرة عيوبها فهي أولى من ذممت.

والإنسان دائما يحرص على أن يحاسب نفسه، وأن ينظر في عيوب نفسه ويسعى في إصلاحها،

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) كما قال عمر رضي الله عنه، فيحاسب نفسه وينصح نفسه، ثم أيضًا يحرص على أن ينصح الآخرين.

٧٦- (فَلَو بَكت الدما عَيْنَاك خوفًا لذنبك) لو بكيت من الندم حتى سال الدمع دمًا خوفًا من ذنوبك ومن الحساب، (لم أقل لَك قد أمنت) لأن العبرة بأمرين اثنين: الأول بما يختم لك، والثاني بقبول العمل منك، وكلاهما غيب عنك، كما كان السلف يعملون كثيرًا ويخافون كثيرًا.

٧٧- (وَمن لَك بالامان وَأَنت عبد) أنت عبد من عباد الله تعالى خلقت لطاعة الله سبحانه، (أمرت فَمَا أئتمرت وَلَا أطعت) بل قصرت في كثير من أزمانك وعمرك، فكيف تأمن؟ وإذا حُوسِبت على التقصير الذي مر ربما تهلك.

****

٧٨- ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى ... لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْتَا

٧٩- وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى الْمَعَاصِي ... وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا

٨٠- رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا

٨١- وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ ... وَنُوقِشْتَ الْحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا

٨٢- وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ ... عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَومَ الْحَشْرِ فَرْدًا ... وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى

٨٤- لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا ... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

التعليق:

٧٨- (ثقلت من الذُّنُوب) الذنوب ثقيلة على القلب وعلى الجسم وعلى النفس، ولذلك كانت التوبة من باب رفع الأغلال والأثقال على النفس، ويكون فيها السرور والفرح والراحة، قال الله جل وعلا: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ كأنه حمل ثقيل على الظهر. (لجهلك أَن تخف إِذا وزنت) إذا كثرت الذنوب في كفة السيئات فإن الإنسان يخف وزنه قال الله جل وعلا في الكفار: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ يوزن الإنسان أحيانًا وأحيانًا توزن أعماله وأحيانا توزن صحائفه، (يؤتى بالرجل السمين البطين ما يزن عند الله جناح بعوضه).

٧٩- (وتشفق للمصر على الْمعاصِي وترحمه) تخاف على العصاة من عذاب الله تعالى وترحمهم، (ونفسك مَا رحمت) ونسيت نفسك أن ترحمها وأن تسعى في خلاصها.

٨٠- (رجعت الْقَهْقَرَى) رجعت إلى الوراء، كنت في زمن قبل هذا مقبلًا على العلم مقبلًا على العبادة، تقوم الليل تقرأ القرآن كثيرًا، والآن ضعفت ورجعت إلى الوراء كما في الحديث: (لكل عمل شرة ولكل شرة فترة)، (وخطبت عشوا) وخبطت خبط عشواء (وهي الناقة التي ضعف بصرها) يعني ذهبت يمينًا ويسارًا، وأذنبت الذنوب المتعددة، (لعمرك لو وصلت) لو بلغت إلى الدرجة التي وصل إليها الصالحون الصادقون، (لما رجعت) إلى الذنوب والمعاصي.

٨١- (وَلَو وافيت رَبك دون ذَنْب) لو فرض أنك أطعت الله تعالى طوال عمرك وما أذنبت قط، وهذا مستحيل، (ونوقشت الْحساب إِذا هلكتا) إذا ناقشك الله تعالى الحساب على النعم التي أعطاك وأنك لم تقم بشكرها كما يجب ستهلك، نحن مهما أطعنا الله تعالى ومهما شكرناه لا يمكن أن نؤدي حق النعم التي علينا.

٨٢- (وَلم يظلمك فِي عمل) أهل السنة يقولون: إن الله تعالى لا يعذب أحدًا دون ذنب، فلو فرض أن الإنسان لقي الله بلا ذنب فإن الله تعالى لن يعذبه كما وعد تعالى، ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾، (وَلَكِن عسير أَن تقوم بهَا حملت) بمعنى لابد من تقصير، كما في الحديث: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

٨٣- (ولو قد جئت يوم الحشر فردًا) إذا جئت يوم القيامة فردًا لا أهل ولا مال ولا عشيرة ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، (وأبصرت أَن الْمنَازل فِيهِ شَتَّى) وأبصرت هذا في أعلى الجنة وهذا في وسطها وهذا في أدناها، وهذا في النار.

٨٤- (لأعظمت الندامة فِيهِ لهفًا) فإنك حينئذ تندم كثيرًا، وتتحسر، واللهف شدة التحسر (على مَا فِي حياتك قد اضعت) تقول ليتني ما ضيعت في عمري ولا وقتي، ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

٨٥- تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ ... فَهَلَّا عَنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا

٨٦- وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا ... وَلَو كُنتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا

٨٧- فَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

التعليق:

٨٥- (تَفِر من الهجير وتتقيه) تفر من حر الدنيا وتبحث عن الظل من باب الوقاية من الحر وتذهب تحت المكيفات والمراوح، (فَهَلا عَن جَهَنَّم قد فررتا) أليست جهنم أولى بأن تتقيها وتبحث عن المكان الذي ينجيك من حرها، ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

٨٦- (وَلست تطِيق أهونها عذَابا) ولست تطيق أهون عذاب جهنم، عن النُّعْمَانَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ» متفق عليه. (وَلَو كنت الْحدِيد بهَا لذبتا) ولو وضع حديد الدنيا في جهنم لذاب في لحظات.

٨٧- (فَلَا تنكر فَإِن الْأَمر جد) لا تنكر لا تتجاهل فالأمر جد وحقيقة، (وَلَيْسَ كَمَا احتسبت وَلَا ظننتا) وليس الأمر كما تظن أنه شيء عابر أو أماني تتمنى على الله تعالى وأعمالك مخالفة، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.



٨٨- أَبَا بَكْرٍ كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيبِي ... وَأَكْثَرُهُ وَمُعْظَمُهُ سَتَرْتَا

٨٩- فَقُل مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي ... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

٩٠- وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي ... بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

٩١- فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ فَهْيَ عَارٌ ... عَظِيمٌ يُورِثُ المَحْبُوبَ مَقْتَا

٩٢- وَتَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا ... وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

التعليق:

٨٨- (أَبَا بكر كشف أقل عيبي) يشير إلى الانتقاد السابق من المنصوح، فيقول: ما ذكرته من أخطائي فإنه قليل في الواقع،(وَأَكْثَره ومعظمه سترت) هناك عيوب أخرى تعلمها وما كشفتها بل سترتها، وعندي عيوب كثيرة لا تعلمها أنت.

من حسن أدبك إذا انتقدت شخصًا فلا تحاول أن تكشف كل ما تعلم عنه، بل يكفيك في النصح ما يؤدي الغرض، كما يقال: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، لا تحاول أن تعدد الأخطاء فهذه ليست طريقة سديدة في النصح. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ» عن أبي ذر رضي الله عنه في السنن.

٨٩- (فَقل مَا شِئْت فِي من المخازي) من الأخطاء التي عندي، (وضاعفها فإنك قد صدقت) ولو ذكرت أضعاف ما قلت فإنك صادق، فعندي ذنوب وأخطاء كثيرة، وهذا من التواضع والناصح إذا قيل: وأنت عندك أخطاء. يقول: صحيح لكن يجب عليَّ أن أتوب وأنت يجب

عليك أن تتوب. لا يتكبر.

٩٠- (وَمهما عبتني فلفرط علمي بباطنتي) مهما عبت فإني أعلم من نفسي أخطاء أكثر مما ذكرت (كَأَنَّك قد مدحت) هذا عندي أشبه بالمدح لأنك ذكرت بعض الأخطاء وتركت ما هو أكثر وأعظم، كما قيل: كفى المرء نبلًا أن تعدم معايبه.

٩١- ثم رجع في النصح مرة أخرى فقال: (فَلَا ترض المعايب فَهِيَ عَار عَظِيم) لا ترضى الذنوب ولا الأخطاء فهي عار تذم بها ومذلة، (تُورث المحبوب مقتا) يجعل الشخص الذي تحبه مبغوضًا عندك.

٩٢- (وتهوي بالوجيه من الثريا) تهوي: تسقطه، والوجيه صاحب المكانة العالية: السلطة أو العلم أو المال... (من الثريا) النجوم، أي: الذنوب والأخطاء سبب في سقوط منزلة العبد في الدنيا والآخرة، (وتبدله مَكَان الفوق تحتا) أصبح لا قيمة له.

****

٩٣- كَمَا الطَّاعَاتُ تُنْعِلُكَ الدَّرَارِي ... وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا

٩٤- وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا ... وَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا

٩٥- وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا عَزِيزًا ... وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَا

التعليق:

٩٣- (كَمَا الطَّاعَات تنعلك الدراري) تجعلك فوق النجوم كأن النجوم نعال لك هذه إشارة إلى أنه رفيع، (وتجعلك الْقَرِيب وَإِن بعدتا) محبوب بسبب الطاعات.

٩٤- (وتنشر عَنْك فِي الدُّنْيَا جميلا) ذكر حسن وثناء ودعاء، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» رواه مسلم. (فتلقى الْبر فِيهَا حَيْثُ كنتا) تلقى الإحسان من إخوانك من المسلمين، أينما ذهبت يستقبلك إخوانك بالبر والحفاوة والترحيب، وهذه من آثار الخير والطاعات.

٩٥- (وتمشي فِي مناكبها عزيزًا) معتز بدينك عزيزًا بالعلم مكرمًا من الناس، (وتجني الْحَمد مِمَّا قد غرستا) تجني الثناء والمدح من الناس فيما قد غرست فيهم من الخير والعلم، والشخص لا يبحث عن هذا لكن هذا يحصل دون قصده وهو من عاجل بشرى المؤمن كما تقدم.

****

٩٦- وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعرَفْ بِعَيبٍ ... وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

٩٧- وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيدَانِ زُورٍ ... وَلَا أَوْضَعتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

٩٨- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ ... وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

٩٩- وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

١٠٠- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ ... وَكَيفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

التعليق:

٩٦- (وَأَنت الْآن لم تعرف بعيب) لم تشتهر بالذنوب والمعاصي، (وَلَا دنست ثَوْبك مذ نشأت) بالخطايا، كما في حديث: و(شاب نشأ في عبادة الله).

٩٧- (وَلَا سابقت فِي ميدان زور) لم تسابق في الكلام الباطل ولا في إعانة أهل الباطل ولم تنافس أهل الباطل في باطلهم ولا دنياهم بل أقبلت على العلم والخير، (وَلَا أَوضعت فِيهِ وَلَا خببت) لم تمشي إليه ولا أسرعت إليه، وخبَّ: أسرع، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

٩٨- (فَإِن لم تنأ عَنهُ نشبت فِيهِ) يعني الزور والباطل والدنيا، (تنأ) تبتعد، (نشبت) وقعت فيها وفي شباكها، (وَمن لَك بالخلاص إذا نشبتا) أحيانًا قد يدخل الشخص في الذنوب مختارًا ثم بعد ذلك يصعب عليه أن يتخلص من الذنوب لأنها أحاطت به من كل الاتجاهات، أو لأن قلبه تعلق بها فأصبح يُغلب على أمره، فالوقاية خير من العلاج.

٩٩- (ودنَّسَ) يعني الزور والباطل والدنيا (ودنَّسَ مَا تطهر مِنْك حَتَّى) يتدنس معنى يتسخ بالذنب ويحبط الطاعات التي كانت منه، (كَأَنَّك قبل ذَلِك مَا طهرتا) كأنك لم تكن من أهل العلم والصلاح والتوبة، فالشخص قبل أن ينظر في المعاصي ينظر في العواقب والآثار التي تجرها الذنوب في الدنيا والآخرة.

١٠٠- (وصرت أَسِير ذَنْبك فِي وثاق) هذا كما تقدم أن الشخص إذا تعلق بالذنوب يصبح أشبه بالأسير (وَكَيف لَك الفكاك وَقد أُسرتا) لا يستطيع أن يخرج منها.

****

١٠١- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ ... كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

١٠٢- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا ... وَكُنْ كَـ"السَّامِرِيِّ" إِذَا لُمِسْتَا

١٠٣- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامٌ ... لَعَلَّكَ سَوفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

١٠٤- وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ ... تُنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

١٠٥- وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيمٌ ... يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

التعليق:

١٠١- (وخف أَبنَاء جنسك واخش مِنْهُم) يحذره من بعض الناس يعني من السفهاء والعصاة، ابتعد عنهم ولا تقبل على مجالستهم لأنهم يجرون الشخص إلى الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)، (كَمَا تخشى الضراغم والسبنت) الأسود والنمارة، بل ضرر جليس السوء أشد من الحيوان المفترس فإنه سيؤدي بك إلى الهلاك في الدنيا والآخرة كما تقدم.

١٠٢- (وخالطهم وزايلهم حِذارا) خالط الناس عند الحاجة، وزايلهم أي: اقترب منهم إن احتجت إلى ذلك؛ مع الحذر، (وَكن كالسامري إِذا لمستا) كالسامري صاحب موسى الذي عُذب في الدنيا بأنه كان إذا لمس يصيح ويتعذب.

١٠٣- (وَإِن جهلوا فَقل سَلاما) وإن أساؤوا إليك تكلموا عليك فقل كما أمر الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، (لَعَلَّك سَوف تسلم إِن فعلتا) إن لم تدخل معهم في صراع فإنك ستسلم من شرهم، وهذا في الغالب.

١٠٤- (وَمن لَك بالسلامة فِي زمَان) هذا الزمان الذي كان فيه، فما بعده أشد فلا يكاد أحد يسلم من شر الناس، (ينَال العُصُم) والعصم: بضم العين والصاد وضبطها بعضهم بالسكون، جمع أعصم وعصماء: الوعل يكون بذراعيه بياض. قال الشاعر:

وكَعْباً قد حَمَيْناهُم فحلّوا ... محلَّ العُصْم في شَعَفِ الجبالِ.

والمعنى أن الشر لكثرته قد وصل إلى الجبال وأوكار الوحوش، (إِلَّا إِن عصمت) إذا عصمك الله سبحانه وتعالى. والمراد: إلجأ إلى الله تعالى ليدفع عنك شر الأشرار.

١٠٥- (وَلَا تلبث بحي فِيهِ ضيم) فيه ظلم فيه معاصي فيه شر، (يُمِيت الْقلب) فإنك ستتأثر ولو بالتدريج حتى يموت قلبك، (إِلَّا إِن كبلت) اخرج وابحث عن أرض يحيا فيها قلبك إلا إن اضطررت للبقاء مع الناس لم تجد طريقًا ولا سبيلًا.



١٠٦- وَغَرِّبْ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ ... وَشَرِّقْ إِنْ بَرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

١٠٧- فَلَيسَ الزُّهدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا ... لَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا

١٠٨- وَلَو فَوقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا ... سُمُوًّا وَافْتِخَارًا كُنتَ أَنْتَا

١٠٩- فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا ... إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا

١١٠- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا ... بِإِجْلَالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

التعليق:

١٠٦- (وَغرب فالغريب لَهُ نفاق) وغرب: اتجه إلى الغرب أو إلى غيره فالتغرب فيه خير، والغريب له قبول بين الناس، (وشرق) وشرق: اتج للشرق، والمعنى: ابحث عن مكان مناسب(إِن بريقك قد شرقت) شرقت: اختنقت، والمعنى: إن كان المكان الذي تعيش فيه كثر فيه الشر والفساد فاهجره.

١٠٧- (فليس الزهد في الدنيا خمولا) ليس الزهد أن تبقى خاملًا بين الناس لا تتحرك ولا تتكلم ولا تظهر، هذا من الضعف وليس من الزهد، (لأنت بها الأمير إذا زهدت) أنت أمير الناس وكبير الناس إن زهدت الزهد الحقيقي، وهو ترك ما يشغل عن الآخرة.

١٠٨- (وَلَو فَوق الْأَمِير تكون فِيهَا) لو استطعت أن تكون في عزك وكبريائك أرفع من الأمير فكن كذلك، (سموا وأفتخارا كنت أنت) سموا: عزة وارتفاعًا، وافتخارًا بالاستغناء عما في أيدي الناس.

١٠٩- (وَإِن فارقتها وَخرجت مِنْهَا) إن فارقت الدنيا وخرجت منها بالموت، (إِلَى دَار السَّلَام

فقد سلمت) إلى الجنة فقد نجوت، الراحة التامة في الجنة في دار السلام ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

١١٠- (وَإِن أَكْرَمْتَهَا وَنظرت فيهَا بإجلال) نظرت فيها بعين الإجلال والتعظيم، (فنفسك قد أهنت) تجري وراء الدنيا ليلًا ونهارًا طمعًا بالزيادة.

****

١١١ - جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا ... حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امِتَثَلْتَا

١١٢ - وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ ... لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

١١٣ - وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهْوِي ... وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَا

١١٤ - وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا[1] حِسَانًا ... وَكَانَتْ قَبلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا

١١٥ - وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي ... وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ مَا ذَكَرْتَا

التعليق:

١١١ - (جمعت لَك النصائح فامتثلها) اعمل بها، (حياتك) طوال حياتك، (حياتك فَهِيَ أفضل مَا امتثلتا) أفضل النصائح ما كان من الكتاب والسنة، وأما ما كان من آراء البشر فليست أفضل ما يكون فلعل الناظم يقول هذه النصائح اخترتها من الكتاب والسنة فهي أفضل ما امتثلت.

١١٢ - (وطولت العتاب وزدت فِيهِ) كرر وأطال فيه، كما ترون أن القصيدة في أكثر من مائة بيت، (لأنك في البطالة) يعني في اللعب بالعبادة وفي اللهو، (قد أطلت).

١١٣ - (فَلَا يغررك بتقصيري وسهوي) يرد على تلك الحجج التي ذكرها قبل، أنا عندي تقصير عندي سهو، وهذا ليس بحجة لك أن تترك الطاعات، فهل إذا جئت إلى الله تعالى يوم القيامة وقيل لك: لماذا لم تحافظ على الصلاة؟ تقول: لأن خطيب الجمعة كان لا يهتم بالصلاة.

(١) في نسخة: (ستًّا).

هل هذا سينفعك بين يدي الله تعالى؟ لا. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾. (وَخذ بوصيتي لَك إِن رشدت) الرشد: الهدى.

١١٤- (وقد أردفتها تسعًا حسانًا) تسعة أبيات، (وَكَانَت قبل ذَا مئة وستا) فتصير مائة وخمسة عشر بيتًا.

١١٥- (وصل على إمام الرسل ربي ... وعترته الكريمة ما ذكرت) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله تعالى.

****